المحاضرة السابعة

/ الأحزاب السياسية في إفريقيا:

قبل أن تظهر الأحزاب السياسية المنتظمة في إفريقيا كانت الجمعيات السياسية هي الأكثر نشاطا في القارة مقاومة للإمبريالية الغربية، وكانت هذه الأخيرة تتكون من عدد قليل من الإفريقيين الذين حققوا قدر من التعليم الجامعي بما في ذلك دراسة القانون في أوربا أكثر من غالبية الشعب، وقد ازداد عدد هؤلاء الأشخاص، ومع ذلك كان أسلوبهم في التفكير محدودا إلى حد ما، ولم يكن لهم مؤيدون على نطاق عريض، وعليه واجهوا بعض من المصاعب كالمضايقات الاستعمارية، وعدم تقبل الشعوب لآرائهم ومقترحاتهم.

نشأة الأحزاب السياسية في إفريقيا:

لقد ظهرت في إفريقيا مئات الأحزاب الشرعية وغير الشرعية بدءًا من عام 1945، وهذه الأحزاب لم تنبثق من العدم، وإنما جاءت عن طريق سلسة من المعطيات التاريخية لذلك فإن مضمونها وبنيانها يعودان لعوامل استعمارية، وسابقة للاستعمار، وغالبا ما استغلت الأحزاب والإدارة جهاز السلطة التقليدية في حملاتها الانتخابية والدعائية، لأنها كانت الدعوة الموثوق بها في نظر الشعب، ولمدة طويلة هي ما يدعو إليه الزعيم المحلي، فكان من الطبيعي أن تسند رئاسة الحزب لزعماء السلطة التقليدية (رؤساء القبائل)، فعلى سبيل المثال تم ترشيح كل من 'بالوم نابا'، وهوفومي بوانيه' لرسة حزب التجمع الديمقراطي الإفريقي RDA باعتبارهما رئيسان لقبيلتان الأول في فولتا العليا والثاني في ساحل العاج.

كما أن العديد من الأحزاب نشأت تكملة لعمل جمعوي وثقافي، وهذا ينطبق على شخصية 'كازافوبو' الكونغولي رئيس لجمعية ثقافية عام 1949 تحت اسم 'جمعية الباكونغو لتوحيد ونشر لغة الكيكونغو'، ثم ما لبثت هذه الجمعية أن دخلت المعترك السياسي النضالي بدءا من عام 1956، وصار كازافوبو رئيسا للبلاد بعد الاستقلال.

أما في نيجيريا فإن أكبر الأحزاب هناك كان حزب جماعة العمل الذي كان متمركز في غرب البلاد، كان قبل أن يصبح حزبا سياسيا في شكل جمعية ثقافية لليوروبا، ومن جهته حزب الأمة السوداني كان على صلة وثيقة مع مريدي المهدية.

وإلى جانب هذه الأحزاب التي نشأت عن خلفية جمعوية وثقافية ودينية هناك أحزاب أخرى جاءت تكملة لعمل نقابي كحزب الباتاكا في أوغندة الذي كان عبارة عن رابطة تخص فئة الفلاحين بدءا من عام 1923، ثم تحولت إلى أول حزب سياسي يظهر في البلاد عام 1946 تحت نفس التسمية، والأمر نفسه في ساحل العاج حيث كانت النقابة الزراعية الإفريقية وراء تشكيل الحزب الديمقراطي لساحل العاج، وبذلك يمكن القول أن روابط الأحزاب

السياسية متعددو وكثيرة تربطها تيارات فكرية وروحية كانت سائدة في إفريقيا قبل ظهور الأحزاب السياسية.

وما ميز الأحزاب السياسية التي ظهرت في إفريقيا بعد الحرب العالمية الثانية أن غلب عليها في بداية الأمر صفة الإقليمية خاصة في البلاد التي لم يتبنى أي حزب فيها برنامجا ذا مبدأ محدد، وكانت هذه الأحزاب أحيانا مجرد ردة فعل دفاعية تظهر عند أقلية قومية تعتقد حقا أو باطلا أنها أقلية مضطهدة، وهذا حال حزب الأحرار الذي ظهر في جنوب السودان، وحزب حركة التحرر القومي عند الأشانتي (غانا)، أحيانا كانت هذه الأحزاب عمل في التيار المناهض للتطور العام في تلك البلاد.

وأحيانا كانت هذه الأقلية تظهر على شكل أحزاب طائفية كحزب المؤتمر الاسلامي في غامبيا، وحزب الوحدة الاسلامية في غانا، والحزب الديمقراطي في أوغندة الذي كانت تنتمي إليه أكثرية كاثوليكية، ويخص شعب الباغندة فقط.

وإلى جانب ذلك ثمة عوامل أخرى لعبت دور كبير في نشأة الأحزاب السياسية من بينها تمزق سلطة الزعماء التقليديين الناجم عن صدور تدابير الاصلاحات الديمقراطية من طرف الحكومة الاستعمارية كإنشاء المجالس التنفيذية والتشريعية خاصة في المستعمرات البريطانية، بالإضافة إلى سقوط الطبقات الاجتماعية والاقتصادية بفضل سهولة التحرك فيما بينهم عن طريق العلم والنجاح في الأعمال.

وكان من البديهي أن الملوك الوراثيين الذين كانوا ينتمون إلى أسر مالكة وعريقة إذا ما وقفوا موقف العداء من الاستعمار أن يجدوا أنفسهم في أسفل الطبقات يعاملون معاملة قاسية، وهذا ينطبق على الملك البوغندي موتسا الثاني الذي وقف في وجه سياسة بريطانيا الرامية إلى تشكيل اتحاد شرق إفريقيا بين كل من كينيا وتنجانيقا وأوغندة، فبمجرد معارضته لهذا المشروع وجد نفسه بالمنفى ببريطانيا عام 1953، حيث بقي بها سنتين، وبعد عودته وجوعه للحكم في مملكة بوغندة أصبحت سياسته معارضة أكثر للبريطانيين، انجر عنها تأسيس حزب سماه حزب الملك ' الكاباكا يكا' عام 1960.

ونفس الشيء مع ملك اليوربا 'أوبا' في نيجيريا هو الآخر وجد نفسه بعيدا عن حكم مملكته، فتحول نشاطه إلى مساندة الشخصيات السياسية عن طريق تأسيس الأحزاب السياسية، وخاصة حزب جماعة العمل الذي لقي كامل الدعم من قبله.

وعلى الرغم مما كان يشوب الأحزاب الإفريقية من خصائص إلا أن تطورها كان يتأثر بعوامل أكثر حداثة منها تقدم وسائل الاتصال الحديثة، وحضور السياسيين أنفسهم أمام ممثليهم وناخبيهم، كما كان للحريات الأساسية في التعبير والاجتماع والانتقال التي أطلقتها

الحكومات الاستعمارية للمواطنين الإفريقيين دور في تطور الأحزاب السياسية، وكسب عدد أكبر من المناضلين والمؤيدين للعمل السياسي .

أما عن مدى حسن تنظيم الأحزاب السياسية في إفريقيا فكان يرتبط بمدى التأثيرات التي مرت بها حين نشأتها وبالضرورات السياسية المحلية، وبحسب ما يتمتع به قوادها من قوة في الشخصية، وغالبا ما تميزت قيادتها بالطابع الشخصي (الفردي) ، وذلك ما يتأتى من فرضية أن الرجل نفسه كان المؤسس للحزب، وهو من يضع له نظامه وكوادره.

أقوى الأحزاب السياسية التي ناضلت من أجل الاستقلال في إفريقيا

- حزب المؤتمر الوطني الإفريقي ANC: يعتب أقدم حزب في إفريقيا تأسس عام 1912 في جنوب إفريقيا، ناظل من أجل القضاء على التمييز العنصري إلى غاية الاستقلال، ويعتبر اليوم هو الحزب الحاكم في البلاد.

- الكتلة الديمقراطية السنغالية: هو الحزب الذي كان يقوده 'ليوبولد سيدر سنغور' في نضاله ضد الاستعمار الفرنسي تأسس عام 1946.

- المؤتمر الشعبي لساحل الذهب: تأسس عام 1951 بقيادة 'كوامي نكروما' خلفا لحزب تجمع ساحل الذهب المتحد المؤسس عام 1947.

- التجمع الديمقراطي الإفريقي: يعتبر من بين الأحزاب الإقليمية تأسس عام 1946 يمثل عدة بلدان في غرب إفريقيا منها ساحل العاج، مالي، السنغال، البنين، غينيا، على يد عدة شخصيات منها هوفومي بوانيه، ولامين غاي، من السنغال، دابوسيكو من مالي، ياسين ديالو من غينيا، لكن هذا الحزب لم يدم طويلا حتى أضحى حزبا يمثل بلاد ساحل العاج فقط تحت قيادة هوفومي بوانيه.

- المؤتمر الوطني الأوغندي UNC: تأسس عام 1952 بقيادة موسازي تم تحول إلى المؤتمر الشعبي لأوغندة عام 1956، كما ظهر أيضا في البلاد حزب الملك 'الكاباكا يكا' .

- الاتحاد الشعبي لزيمبابوي ZAPU، والاتحاد الوطني لزيمبابوي ZANU، وهذا الأخير كان بقيادة الزعيم روبرت موغابي الذي ناضل من خلاله في سبيل محاربة التمييز العنصري والاستقلال حتى عام 1980.

- الاتحاد الوطني لكينيا KANU، والاتحاد الديمقراطي لكينيا، الأول كان بقيادة جومو كينياتا حيث نضل من خلاله حتى الاستقلال عام 1963.

الاتحاد الوطني لتنجانيقا TANU كان بقيادة جوليوس نيريري ناضل من خلاله حتى الاستقلال عام 1962.

- حزب الأمة السوداني.

-. الحركة الشعبية لتحرير أنغولا MPLA بقيادة أغستينو نيتو

- عصبة العمل في نيجيريا تأسس عام 1948 قادة أزيكيوي حتى الاستقلال عام 1960.

المحاضرة الثامنة

3/ إفريقيا نحو الاستقلال:

شهدت معظم البلدان الإفريقية بعد الحرب العالمية الثانية تطورات سياسية كبيرة تمثلت معظمها في تأسيس الأحزاب السياسية التي ستأخذ على عاتقها المطالبة بالاستقلال والانفصال التام عن الامبريالية الأوربية التي لطالما سلبتهم خيراتهم وحرياتهم، وبم يكن هذا التطور إلا نتيجة الوعي القومي والفكر التحرري والاحساس بروح الكسؤولية التي صارت تشعر بها العديد من شرائح المجتمع.

1الحكم الذاتي في غرب إفريقيا بين 1948- 1961:

أ/ في المستعمرات البريطانية: في عام 1948 كانت معظم التغيرات والاضطرابات التي حدثت في ساحل الذهب قوية لا وصلت من العنف إلى درجة الغليان، وبرز أكثر في مقاطعة سكان ساحل الذهب لشركات التجارة الأوربية مقاطعة منظمة تنظيما جيدا، ثم تبعتها مظاهرة رجال الخدمة السابقين التي أدت إلى أعمال الشغب في آكرا، وفي المدن الرئيسية الأخرى مطالبين بالحكم الذاتي للمستعمرة، والانفصال جزئيا عن الادارة البريطانية.

وأرجعت لجنة واطسون أن السبب من وراء ذلك يرجع إلى غضب الأعداد المتزايدة من الإفريقيين غير الراغبين في حكم الاستعمار لذلك كانت الحاجة ماسة إلى دستور جديد تسير به البلاد نحو الحكم الذاتي، وفي عام 1949 عينت الحكومة البريطانية في ساحل الذهب لجنة إفريقية كان جميع أعضائها من الإفريقيين، وكانت تحت رئاسة القاضي المدعو 'كوسي' كي يضع تفاصيل ذلك الدستور، هذا في الوقت الذي كان فيه كوامي نكروما يمارس السياسة بطريقة سلمية، حيث تعاون معه الشباب وأسسوا حزب اتحاد ساحل الذهب الذي كان يطالب هو الآخر بالحكم الذاتي.

وفي حدود عام 1951 أصدر كوسي دستوره، وتم تنظيم انتخابات عامة للمجلس التشريعي فاز بها السير 'تشارلز أردين كلارك'، واصبح حاكما جديدا لساحل الذهب، والذي سرعان ما أفرج عن نكروما الذي كان معتقلا رفقة مجموعة كبيرة والذين سرعان ما أسسوا حزبا جديدا يعرف بالمؤتمر الشعبي لساحل الذهب، وقد تعاونوا مع الموظفين البريطانيين ووزراء اتحاد حزب الشعب في وضع تفاصيل الحكم الذاتي، واصبح كوامي نكروما رئيسا للوزراء إلى غاية 1957 حيث حصلت ساحل الذهب على استقلالها كأول دولة في غرب إفريقيا، وتحول اسمها إلى غانا الجديدة.

وفي عام 1953 لم تستطع بريطانيا أن تتنكر للحكم الذاتي لباقي المستعمرات في غرب إفريقيا، فاعترفت به للنيجيريين عام 1953، ولسيراليون في 1954، ولغمبيا عام

1956، وحصلت نيجيريا على الاستقلال التام عام 1960، وسيراليون عام 1961، وتأخرت غمبيا إلى غاية 1965 بسبب قلة سكانها وقلة مداخيلها.

ب/ في المستعمرات الفرنسية: كان الوضع القانوني لمستعمرات غرب إفريقيا يختلف عن المقاطعات البريطانية من جهتين أولهما أن إدارتها الاستعمارية كانت تابعة للحكومة الاتحادية في دكار، والتي كانت لها سلطات كبيرة على باقي المستعمرات في غرب إفريقيا، وثانيها هو تعهد فرنسا للإفريقيين بالتقدم السياسي للمستعمرات، هذا التقدم الذي سيكفل العمل من القمة إلى القاعدة، ومن أجل هذا الهدف راح الإفريقيون يطورون الوطنيون الأفارقة داخل الجمعيات والاحزاب اعتقادا منهم أن فرنسا ستمنحهم الحكم في حال بلوغهم تلك المرحلة.

لكن في النهاية خاب أملهم لأن فرنسا لم تفي بوعدها، ولم تحقق أي تطور سياسي للإفريقيين؛ بل فقدوا الأرض بسبب السياسة الفرنسية وحصلت الاضطرابات من جانب المتطرفين في حزب التجمع الديمقراطي الإفريقي، وعلى الفور دخل أعضاء هذا الحزب في صراع مع الإدارات الاستعمارية الفرنسية، أدى ذلك بالتضييق على الحزب ومناضليه في السنغال وخارجها نتج عنه في الأخير ظهور الأحزاب الاشتراكية الانفرادية داخل المستعمرات.

وبحلول عام 1956 كان بإمكان أي حزب داخل المستعمرة التي يمثلها التأثير على الحكومة الفرنسية بأن يصير لها دستورها الخاص، وقد سمح هذا الدستور للوزراء الإفريقيين المسؤولين عن المجالس الإقليمية (المجالس المحلية) اجراء اتصالات خاصة ومباشرة مع الحكومة الفرنسية.

وفي عام 1958 عاد ديغول إلى السلطة في فرنسا بعد فشل الحكومات السابقة، وكان قد حارب بعنف ضد الجزائر التي قاومت من أجل الحصول على حريته، وقد أدرك ديغول أن نهاية الاستعمار قد اقتربت فقد منحت كل المستعمرات الفرنسية الخيار في استفتاء شعبي بين الاستقلال المباشر وبين حكم ذاتي كامل؛ أي داخل المجموعة الفرنسية (الرابطة الفرنسية) لكن معظم المستعمرات صوتت لصالح الحصول على الاستقلال، وبحلول عام 1960 رأى ديغول بضرورة منح الاستقلال لهذه الأقاليم.

<u>التقدم نحو الاستقلال في إفريقيا الاستوائية:</u>

في إفريقيا الاستوائية تم تصفية الاستعمار بطرق ودية لبعض الدول، وأرغمت دول أخرى الاستعمار اللجوء إلى المفاوضات عن طريق القوة، فالمناطق التي كان فيها تصفية الاستعمار بطرق ودية هي إفريقيا الاستوائية الفرنسية وغينيا الاسبانية، والأقاليم الخاصة بالوصاية البلجيكية (روندا وبورندي)، أما الدول التي أرغمت فيها مستعمريها على التفاوض هي

الكونغو البلجيكي، والكاميرون وأنغولا، وذلك بشن حرب تحرير لإرغام الدول الاستعمارية على التفاوض.

في إفريقيا الاستوائية الفرنسية كانت السلطات الفرنسية تمارس مراقبة مستمرة على التحرك التدريجي نحو الاستقلال، بينما وقفت الأطراف المحلية الرئيسية موقف المتفرج من تطور الأوضاع، وذلك لعدم قدرة التشكيلات السياسية التي تتألف بصفة رئيسية من كتبة وموظفين مدنيين؛ أي من فئات الطبقة المتوسطة من تعبئة الجماهير إلا بدرجة محدودة للغاية ، كانت حركة التطور الاجتماعي لإفريقيا السوداء MESAN التي اسسها 'بارتيليمي بوغندا' في إفريقيا الوسطى هي الاستثناء الوحيد الذي استطاع كسب قاعدة شعبية كبيرة، حيث كان يطلق على مناضليه لقب الزنوج البيض، كما كان يلقى الدعم من حزب التجمع الديمقراطي الإفريقي الذي كان هو الآخر له قاعدة كبيرة ولكن تأثيره قليل، وعندما صدر القانون الأساسي سنة 1956 سارعت الصفوة الإفريقية إلى قبول الاستقلال الذاتي السياسي دون أي شعور بالعداء ضد فرنسا، ودون أي رغبة في انهاء العلاقة البنيوية مع الدولة الاستعمارية السابقة.

وفي عام 1958؛ أي قبل أسابيع من الاستفتاء الديغولي بشأن الرابطة الفرنسية الاستقلال التام أو التبعية في إطار الحكم الذاتي مع فرنسا في شكل رابطة) أرسلوا إلى ديغول إلتماسا على مبدأ الاستقلال في إطار تكافل طوعي للمستعمرات السابقة والاحتفاظ بالحق في أن يطالبوا في النهاية بالاستقلال التام، لكن بعد موت 'بارتيليمي بوغندا' في حادث طائرة غامض أخذت كل دولة _التشاد، إفريقيا الوسطى، الكونغو الفرنسي، الغابون) تسير لوحدها نحو الاستقلال وفي النهاية صوتوا لصالح الاستقلال التام والانفصال عن فرنسا.

وتحقق الاستقلال نفسه لكل من غينيا الاستوائية الاسبانية، وساوتومي وبرانسيب تحت اشراف دقيق من جانب الدولتين الاستعماريتين إسبانيا والبرتغال، حيث تحصلت غينيا الاستوائية على استقلالها عام 1968، وساوتومي وبرانسيب في عام 1965.

وفي روندا وبورندي كان للأمم المتحدة دور في تصفية الاستعمار بصفتها المسؤولة عن الوصاية، ورغم ذلك تأسست في المستعمرتين عدة أحزاب في بورندي حيث ظهر حزب الوحدة والتقدم الوطني، ورابطة التقدميين الديمقراطيين في بورندي، والحزب الديمقراطي الريفي، والاتحاد الوطني الإفريقي لرواندا وبورندي، ولكن الصراع الحاصل بين التوتسي والهوتو، والذي اسفر على عدة مظاهرات أرجأت هيئة الأمم المتحدة استقلال البلدين إلى غاية ديسمبر 1961 بعد إجراء انتخابات للمجلس التشريعي.

وفي الكونغو ما إن انتهت الثورات العنيفة التي قامت مع مطلع الخمسينيات حتى زادت حدة الشعور بالحاجة إلى التنظيم غير أن الأحزاب السياسية كانت لا تزال محضورة، وعلى ذلك اعتمد الكونغوليون شكلين محددين من اشكال التنظيم قُدِرَ لهما أن يتركا أثرا باقيا على

مستقبل البلاد السياسي والاجتماعي تمثلت في رابطات قدامى الطلبة والجمعيات التقليدية، فمن أبرز هذه الرابطات نجد رابطة قدامى شيوت، ورابطة قدامى طلبة الفيرير المسيحية، وحلقة سان بنوا في إليزابيث فيل، ومن أبرز الرابطات نجد رابطة الباكونغو التي كان يقودها 'كازافوبو'، هذه الرابطات هي من كانت وراء بروز الأحزاب السياسية مع مطلع عام 1958، حيث أسس باتريس لومومبا الحركة الوطنية الكونغولية، وهو الحزب الوحيد الذي يستند إلى قاعدة وطنية كبيرة.

وكانت الأواسط الشعبية قد انفجرت بها أزمة اجتماعية بدءا من عام 1957، فهبت حركة العصيان في الأحياء الإفريقية في ليوبولد فيل ما بين 4 و7 جانفي 1959 انهار على إثرها الحكم العسكري رغم ما قام به من قمع للأواسط الشعبية، وعلى اثر ذلك سارعت السلطات البلجيكية التي لم تفكر جديا في تصفية استعمار إمبراطورتيها إلى إرتجال تحرير الكونغو، وإلى تنفيذه وعقد مؤتمر مائدة مستديرة في بروكسل جانفي 1960، وتم تحديد 30جوان 1960 تاريخا لاستقلال الكونغو.

أما في الكاميرون فقد عمل حزب اتحاد سكان الكمرون على تحريض حركة النضال الوطني وتقدمها، وذلك باعتباره جبهة قوية أكثر منه حزبا متنوعا سواء في عضويته التي تتألف من مثقفين ونقابيين، وعمال مضطهدين، وفلاحين فقراء واصحاب مزارع ومتاجر، أو فيما يتعلق بأيديولوجيته التي كانت تسير على نهج النخوة الوطنية وتحرير البلاد التام، كما عمل الحزب على خلق روابط وثيقة مع اتحاد النقابات الفدرالي.

واشتغل سياسيو الكاميرون وباقي الشرائح الاجتماعية النكسات التي منيت بها فرنسا في ديان بيان فو، واندلاع ثورة الجزائر في شن هجوما واسع النطاق على المؤسسات الفرنسية من 22 و 30 ماي 1955 بتحريض من اتحاد سكان الكاميرون، واستغلت الاحزاب السياسية الوضع للفوز بالانتخابات العامة، وفي عام 1957 رفع الوضع السياسي للكاميرون وأصبحت جمهورية ذات استقلال ذاتي مشمولة بالوصاية من طرف هيئة الأمم المتحدة، ثم تشكلت بها حكومة يرأسها أحمدو أهديجو وبقي الأمر في حالة من الفوضى حتى أكتوبر 1961 تاريخ حصولها على الاستقلال.